سابور بن اردشير وتأسيسه « دار العلـم » ببغداد *

بقلم : الحبيـب الشـاوش

تمهيـد :

كانت بغداد في القرنين الرابع والخامس هـ/العاشر والحادي عشر م. مسرحا للاضطرابات والقلاقل السياسية والفتن ، ولا سيما في عهد الدولة البويهية التي بسطت نفوذها على فارس والعراق ، وانتصب امراؤها بعاصمة الخلافة العباسية ، واصبحوا فيها أصحاب الامر والنهي ، ولم يبق للخليفة فيها ، شأن كبير يذكر أو دور يلعبه في الحقل السياسي خاصة .

ومما غذى تلك الاضطرابات والفتن ، التطاحن المستمر بين الشيعة والسنة من ناحية ، وثورات العيارين والقرامطة والحنابلة والفئات الشعبية من ناحية أخرى ، وذلك في فترات مختلفة من عهد الامارة البويهية الطويل .

ورغما عن الحالة السياسية والاجتماعية المتقلبة . في هذا العصر بالذات ، ازدهرت الحيـاة الادبيـة والعلميـة ازدهارا كبيرا ، بفضل تنافس الامـراء والوزراء البويهيين في تشجيع الكتاب والشعراء بالوسائل المادية والادبية على الانتاج والخلق ، وبعث حياة أدبية نشيطة في البلاطات والمجالس .

(*) هذا البحث انجـز ضمـن برنامج قسـم الدراسـات الأدبيـة بمـركـز الدراسـات والأبحـاث الاقتصادية والاجتماعية . (C.E.R.E.S.)

وهذا سابور ، احد وزراء الدولة ، يلعب دورا هاما في هذا الميدان ، وذلك في فترة لم تعرف — وهذا اقل ما يقال فيها — أي استقرار في مجال الحياة السياسية والاجتماعية ... وقد تمثل دوره في بعث مؤسسة علمية من أهم ما عرفه العالم العربي والاسلامي حتى ذلك العصر ، من المؤسسات العلمية المماثلة . وقد قسمنا بحثنا في هذا الموضوع إلى قسمين كبيرين تناولنا في أولهما حياة سابور ونشاطه السياسي ، وزيرا ، وتخلصنا في القسم الثاني ، إلى تأسيسه « دار العلم » والتعريف بهذه المؤسسة ودورها في ازدهار الثقافة العربية الاسلامية ، اعتمادا على مختلف المصادر القديمة والمراجع الحديثة وقد ادرجنا قائمة كاملة لها في اخر بحثنا هذا .

مقدمة :

سابور بن ارد شير هو أحد وزراء الدولة البويهية ورجالاتها العظام ، خلد التاريخ اسمه ، إلى جانب من خلد ، لما كان له وعرف به من علو المكانة والشأن . ، وقد عاش في فترة تعتبر فاصلة بين عهدين : عهد قوة الدولة واستقرارها من ناحية ، وعهد ضعفها وتلاشيها حتى زوالها من ناحية اخرى .

لمحة موجزة عن امارة البويهيين في العراق خاصة :

يجدر ان نلاحظ — باديء ذي بدء — ان الاصل في تسمية هذه الدولة يرجع إلى « بويه » المعروف لدى المؤرخين بشجاع او ابي شجاع بويه ، احد القواد العسكريين الفرس من الديلم ، اشتهر بمشاركته الفعالة في الحروب الطاحنة بين العلويين والسامانيين (1) وهو أب لثلاثة أبناء : أحمد ، وعلي والحسن ، مؤسسي هذه الدولة الزاحفة التي سرعان ما انتشر نفوذها على

(1) راجع : دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الأولى ، ج 1 ، ص ص 827—828 مقال : « بويهيون » لك.ف. زترشتاين .
— نفس المرجع ، الطبعة الثانية ، ج ، ص ص 1390—1397 ، مقال : « بويهيون » لكلود كاهين .

فارس فالعراق ، وكان دخولها العراق وانتصابها في بغداد على يد احمد ، في عهد الخليفة العباسي المستكفي الذي بادر إلى الاحتفاء بالفاتح الفارسي ، وذلك بتسميته « أمير الامراء » واضفاء لقب « معز الدولة » عليه . وكان احمد هذا قد فتح قبل ذلك بلاد كرمان سنة 935/324—936 ، وزحف نحو الغرب حتى دخل بغداد في جمادي الاولى 334/ديسمبر 945 .

أما أخوه علي فبسط نفوذه على مقاطعة اصفهان لمدة قصيرة ، ثم على فارس حيث استقر .

أما الحسن فقد احتل كامل الجبل . وقد لقب علي بعماد الدولة ، والحسن بركن الدولة . والملاحظ ان مثل هذه الالقاب اضفيت على الامراء البويهيين الذين تداولوا الحكم سواء بفارس أو بالعراق (انظر الجدول المصاحب اسفله) ، وهي بلا شك مجرد القاب شرفية تضفي على أصحابها شيئا من الابهة ...

واول بادرة صدرت عن البويهيين ، في معاملتهم للعباسيين ، بادرة اهانة ، من معز الدولة للخليفة المستكفي ، اذ أمر بسمل عينيه وخلعه عن عرشه ، في جمادي الثانية 334/جانفي 846 ، وتعويضه بالمطيع وانجر عن ذلك تدهور ملحوظ مستمر للخلافة العباسية ببغداد ، حيث أصبح النفوذ الحقيقي بيد الامير البويهي وامسى الخليفة مجرد العوبة بين يدي البويهيين أو ما شابه ذلك ...

وتعاقب على العراق من سنة 945/334—946 إلى سنة 1055/447 ، احد عشر أميرا (2) ، كان أبرزهم وأفضلهم عضد الدولة (3) (978/367—983/372)

(2) انظر جدول الامراء البويهيين اسفله .

(3) عن عضد الدولة : انظر خاصة : ابن خلكان : « وفيات الاعيان » ، القاهرة 1947/1367 ، ج 3 ، 221 ، ترجمة رقم 505 . — السيوطي : « بغية الوعاة » ، القاهرة 1326 ، ص 374 — الثعالبي : « يتيمة الدهر » ، ط. م.م. عبد الحميد (القاهرة) ، ه ، 216—218 . — دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الاولى ، ج1 ، 145—146 ، مقال : « عضد الدولة » . والطبعة الثانية ، ج 1 ، 217—219 ، مقال : « عضد الدولة » . — ابن العماد الحنبلي : الشذرات ، القاهرة ، 1350 ، ج 3 ، 65 ، 68 ، 70 ، 78—79 . — الذهبي : العبر ، ط. الكويت ، 1961 ، ج2 ، 361—362 . — ابن الجوزي : المنتظم ، ط. حيدر أباد الدكن ، 1958 ، ج 7 ، 113—118 . —

الذي قام ، مدة امارته ، باعمال اصلاحية وانشائية ذات بال ، في ميدان الزراعة والتعمير والحياة الاجتماعية فضلا عن تشجيعه حركة الادب والفكر إما بالمساهمة المباشرة فيها أو بحماية رجل الثقافة والعلم في بلاطه واغداق الصلات الطائلة عليهم . ومن الوزراء الذين سلكوا نفس المسلك بتنشيط الحياة الادبية وخاصة حياة المجالس : أبو محمد المهلبي وزير معز الدولة وذلك في بداية عهد الدولة (4) .

واذ خصصنا بالذكر هذين العلمين فلانهما يندرجان في نفس السياق أو الاطار الذي ينضوي فيه موضوع بحثنا ، ... وذلك قبل توغلنا في الحديث عن حياة سابور وعهده والماثر التي تألق بها نجمه ، لا سيما وان بينهما وبين سابور وجة شبه يتمثل في الاقبال على اخصاب حياة الفكر بانجازات ومشاريع ثقافية ، هي — على ندارتها — ، باعتبار كامل العصر الذي ظهرت وتحققت فيه ، — من الاهمية بمكان .

وان اكبر ظاهرة تميز بها العصر البويهي كثرة القلاقل السياسية والدينية من ناحية ، وازدهار حياة المجالس والحياة الادبية والعلمية والفكرية من ناحية اخرى وفي نفس الوقت ، مع وجود فترات متفاوته من حيث ظهور هذه الحياة وازدهارها وقيمتها .

ويمكن حصر هذا التطاحن اجمالا في الصراع القائم بين **الشيعة** — وبنو بويه من انصارها واقطابها — **والسنة** التي « يمثلها » ، أولا وبالذات ، الخلفاء العباسيون .

---

(4) عن المهلبي ، انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 7 ، 9—10 . — الذهبي : العبر ، ج 2، 256، 391 . — ابن خلكان : الوفيات ، ج 1 ، 392—393 . — ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات (القاهرة ، بلا تاريخ) ،ج 1، 256—260 . — ياقوت : معجم الادباء (ط. القاهرة) (مطبوعات دار المأمون لاحمد فريد الرفاعي) ، ج9 ، 118 . — ابن العماد : شذرات ،ج 2 ، 354 ، ج 3 ، 9—11 . — الثعالبي : اليتيمة ، ج2 ، 227—336—337 ، 342 ج 3 ، ، 114—118 . — « دائرة المعارف الاسلامية : الطبعة الثانية ،ج 1، 1390—1397 ، مقال : « بويهيون » لكلود فاهين بالخصوص . —

جدول عام للدولة البويهية

الجبل	كرمان	فارس	العراق	السنوات (هجري)
[عماد الدولة] (سنوات غامضة)				320
		عماد الدولة		322
				324
ركن الدولة (سنوات غامضة)	[معز الدولة (غموض)]		[معز الدولة]	334
				335
ركن الدولة	[عضد الدولة]	عضد الدولة		338
			عز الدولة بختيار	356
الري .. أصفهان فخر الدولة + همذان				363
مؤيد الدولة				366
مؤيد الدولة			عضد الدولة	367
				369
	صمصام الدولة		صمصام الدولة	372
				373
فخر الدولة ↔ فخر الدولة			شرف الدولة	376
			بهاء الدولة	379
		صمصام الدولة		380
مجد الدولة. شمس الدولة				387
	بهاء الدولة	بهاء الدولة		388
	قوام الدولة	سلطان الدولة	سلطان الدولة	403
سما الدولة ثم الكاكويهيون		مشرف الدولة	مشرف الدولة	412
		أبو كاليجار		415
			جلال الدولة	416
	أبو كاليجار			419
				420
الاحتلال الغزنوي			أبو كاليجار	435
تفسير العلامات التالية	فولاد ستون	الملك الرحيم	الملك الرحيم	440
↔ = ملك مزدوج			سقوط بغداد بيد طغرل بك وسجن الملك الرحيم	447
↔ (متقطع) = ملك غير مزدوج لكن تحت نفوذ شخص واحد. [ ] ملك جزئي مشكوك فيه أو متنازع فيه .				448

امراء الدولة البويهية في العراق (بغداد) فقط، وتاريخ امارتهم

(مع ابراز الفترة التي آستوزر فيها سابور بن أردشير)

السنة (هـ)	الامراء البويهيون	ملاحظات
334	معز الدولة	دخل بغداد في جمادي الاولى
356	عز الدولة بختيار	
367	عضد الدولة	
372		
376	شرف الدولة	آستوزر كلاهما سابور
379	بهاء الدولة	بن اردشير على التوالي
403	سلطان الدولة	
412	مشرف الدولة	
416	جلال الدولة	
435	أبو كاليجار	
440	الملك الرحيم	
447		سقوط بغداد بيد طغرل بك وإلقاء القبض على الملك الرحيم (انتصاب السلاجقة ببغداد)

جدول الخلفاء العباسيين الذين واكبوا إمارة بني بويه[1]

(وتحديد تاريخ حياة سابور ووفاته)

السنوات (هجرية)	الخلفاء العباسيون		ملاحظات
333	المستكفي		خلعه معز الدولة وسمل عينيه وسجنه
334	المطيع		
336			ولادة سابور بن اردشير
363	الطائع		
381	القادر	سابور مدة وزارته	إنشاء "دار العلم" من طرف سابور بن اردشير (في 381هـ أو 383هـ)
416			وفاة سابور بن أردشير
422 (وبقي الى سنة 467 = أي بعد سقوط بغداد وقيام السلاجقة)	القائم		

(1) أنظر دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الأولى، I، 14 - 15

وهذه الظاهرة تكاد تكون عامة في ربوع بلاد الشرق العربي الاسلامي في ذلك **العصر وقبله وبعده** ، وقد « غذى » هذا التطاحن ألوان متعددة من الشغب والثورات والفتن بالعراق عامة وبغداد خاصة ، مثل حركات القرامطة والعيارين والحنابلة بقيادة أبي محمد البربهاري ، وان كانت دواعي هذه الحركات والثورات واهدافها تختلف الواحدة عن الاخرى ، اضف إلى ذلك حركات النهب التي قام بها الشعب العراقي في بغداد خاصة بتشجيع — من الامراء البويهيين انفسهم أحيانا — وكان بعضها موجها ضد بعض الخلفاء أو الوزراء المغضوب عنهم من طرفهم — ... أو حركات التظاهر من جراء المجاعة أو سوء المعاملة مثل المصادرات التي جرت في بداية العهد البويهي بالخصوص ، اضف إلى ذلك — أيضا — تحركات الجيش المتألف من فئتين متضادتين : الديلم — وهم شيعة — من ناحية ، والاتراك — وهم سنيّون — من ناحية اخرى ، رغم حسن المعاملة التي كان يحظى بها قواده وضباطه من قبل الامراء البويهيين ، دون غيرهم من الفئات الاجتماعية الشعبية .

ورغما عن هذا الجو الذي يبدو للدارس الباحث مضطربا متقلبا — سياسيا واجتماعيا — فقد نشطت بلاطات الامراء وقصور بعض الوزراء ، والمجالس وزخرت بحياة أدبية وعلمية ، مبعثها التنافس القائم بين رجال السياسة على دعم سمعتهم واعلاء صيتهم وتركيز نفوذهم باجتلاب الشعراء والكتاب إلى رحابهم واستغلال مواهبهم تارة بالمال وتشجيع انتاجهم وارساء مكانتهم بتشريكهم في المسؤوليات أحيانا ... وكثيرا ما كان الوزير ينتخب لمكانته العلمية والثقافية ولذرابة لسانه وحسن بيانه (5) .

---

(5) انظر : الدكتور علي الشابي : « الادب الفارسي في العصر الغزنوي » دار التونسية للنشر ، 1965 ، المقدمة ، وخاصة التمهيد ، ص ص 15—17 .
انظر كذلك مقال : « بويهيون » في كل من الطبعة الاولى والطبعة الثانية من دائرة المعارف الاسلامية ، وقد سبق ذكرهما .

ومما ساعد على نشر الادب والعلوم ، انشاء المؤسسات الثقافية وخاصة المكتبات من نوع « **بيت الحكمة** » أو « **دار الحكمة** » أو « **دار العلم** » ، وقد لعب سابور في هذا الميدان دورا هاما .

ولنبدأ قبل كل شيء بالتعرف على شخصيته ، فمن هو سابور بن اردشير؟

1 — حياتـه :

هو أبو نصر سابور بن اردشير ، من خيرة رجالات فارس اخلاقا وسلوكا وثقافة ، ولد بشيراز ليلة السبت ، خامس عشر ذي القعدة سنة 336هـ/27 ماي 948م ، وتوفي ببغداد سنة 416هـ/1025 — 1026م ، عن سن تقارب الثمانين حولا (6) .

وكان عفيفا عن الاموال ، كثير الخير ، سليم الباطن ، وكان اذا سمع الاذان ترك ما هو فيه من الاشغال وقام إلى الصلاة ، ولم يعبأ بشيء ، الا أنه كان يكثر الولاية والعزل ، « فولى بعض العمال عكبرا ، فقال له ايها الوزير : كيف ترى استأجر السمارية مصعدا ومنحدرا ، فتبسم وقال : امض ساكنا (7) » .

وقال عنه ابن خلكان في « الوفيات » : كان من اكابر الوزراء واماثل الرؤساء ، جمعت فيه الكفاية والدراية وكان بابه محط الشعراء » .

وذكره أبو منصور الثعالبي في كتابه «اليتيمة» ، وعقد لمداحه بابا مستقلا لم يذكر فيه غيرهم ، فمن جملة من مدحه ، أبو الفرج الببغاء بقوله : (من البسيط) :

---

(6) عن سابور : انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 8 ، 22—23 . — الذهبي : العبر ، ج 3 ، 22 . — الثعالبي : اليتيمة ، ج 3 ، 129—136 . — ابن خلكان : ، 99—101 (ترجمة عدد 241) . — ابن العماد : شذرات ، ج 3 ، 104 . — ماريوس كنار : « بغداد في القرن الرابعه/العاشرم. » (مجلة « ارابكا » : عدد خاص بسغداد بمناسبة مرور 1،200 عام على تأسيسها ، اكتوبر 1962 ، ص ص ، 267—287 .

(7) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 8 ، 22—23 .

« لمت الزمـان عـلى تأخيـر مطلبـي — فقال : ماوجه لومـي وهو محظور
فقلت : لو شئت ما فات الغنى أملي — فقال : اخطأت، بل لو شاء سابور
لذ باوزير أبـي نصر وسل شططـا — اسرف فانك في الاسراف معذور
وقد تقبلت هذا النصح مـن زمنـي — والنصح حتى من الاعداء مشكور »

ولمحمد بن أحمد الحرون فيه قصيدة من جملتها (من البسيط) :

« يا مؤنس الملك والايـام مـوحشـة — ورابط الجأش والاجال في وجل
مالي وللارض لم اوطن بهـا وطنـا — كأننـي بكر معنى سار في المثـل
او أنصف الدهر او لانت معاطفـه — اصبحت عندك ذا خيل وذا خول
للـه لـؤلـؤ ألفـاظ أساقطهـا — لو كن للعيـد مـا استأنسن بالعطل
ومن عيون معـان لـو كحلن لهـا — نجـل العيـون لاغناها عن الكحل

وكان سابور قد صرف عن الوزارة ثم اعيد إليها ، فكتب إليه أبو اسحاق الصابـي (من الكامل) :

قد كنت طلقت الوزارة بعدما — زلت بهـا قدم وساء صنيعها
فغدت بغيرك تستحيل ضرورة — كيما يحل إلى ثراك رجوعها
فالان قد عادت و ا لت حلفـة — ان لا يبيت سواك وهو ضجيعها

الـوزارة :

أ) وزر سابور (8) لشرف الدولة (9) وهو ابن عضد الدولة الذي سبق ذكره ، وكان هذا الامير على قصر مدته (376—379هـ) يميل إلى الخير وازال

(8) تعلقت همة صاحب « الوفيات » في آخر الفصل الذي خصصه لسابور بن اردشير بالتفنن في شرح هذا الاصم بقوله : « وسابور بفتح السين المهملة ، وضم الباء الموحدة وبعد الواو راء ، والاصل فيه « شاهبور » فكأنه قال : ابن الملك ، وعادة العجم تقديم المضاف إليه علي المضاف ، وأول من سمـي بهذا الاسم سابور بن اردشير بن بابك بن ساسان احد ملوك الفـرس .
واردشير : بفتح الهمزة ، وسكون الراء وفتح الدال المهملة ، وكسر الشين المعجمة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها راء قاله الدار قطني الحافظ ، وقال غيره : معناه دقيق وحليب » وقيل : معناه دقيق وحلو ، وهو لفظ اعجمـي وارد عندهم : الدقيق — وشير : الحليب . وشيرين : الحلو . والله اعلم . وقال بعضهم : « ازدشير » بالهمزة و الزاء

(9) الذهبـي : العبـر ، ج 3 ، 1 ، 3—4 ، 6 ، 11 . — ابـن الجـوزي ، المنتظـم : ج 7 ، 149—150 . — ابن العماد الحنبلي : شذرات ، ج 3 ، 88 .

المصادرات ، ورفع عن العراق مظالم كثيرة ، يروي في شأنها الذهبي ان شرف الدولة رد على الشريف أبي الحسن بن عمر جميع املاكه ، وكان دخلها في العام الفي الف وخمسمائة درهم ، وكان اذذاك الغلاء ببغدا فوق الوصف هذا وقد أمر الامير البويهي برصد الكواكب — كما فعل المأمون — وبنى لها هيكلا بدار السلطنة ، وذلك في سنة 378هـ .

وقد توفي شرف الدولة ببغداد مصابا بمرض « الاستسقاء » في جمادى الاخرة سنة 379/اوت — سبتمبر 990 في عنفوان الشباب وله تسع وعشرون سنة وتملك بغداد سنتين وثمانية أشهر ، وولي بعده أخوه أبو نصر بهاء الدولة .

ومن الملاحظ ان الضعف أخذ يدب في دولة بني بويه ومن مظاهر ذلك في عهد هذا الامير بالخصوص ما رواه لنا الذهبي في كتابه « العبر » (10) حيث قال : « شرعت دولة بني بويه تضعف فمال العسكر عن صمصام الدولة إلى أخيه شرف الدولة فذل الصمصام وسافر إلى أخيه ، راضيا بما يعامله به ، فدخل وقبل الارض مرات ، فقال له شرف الدولة : كيف أنت ، اوحشتنا . ثم اعتقله فوقع بين الديلم — وكانوا تسعة عشر ألفا — وبين الترك — وكانوا ثلاثة ألاف — فالتقوا فانهزمت الديلم وقتل منهم نحو ثلاثة الاف ، وحفت الترك بشرف الدولة ، وقدموا به بغداد ، فأتاه الطائع يهنئه ، ثم خفي خبر صمصام الدولة ولَمْ تطل مدته » .

ب) على ان ازهى فترة عرفها سابور كانت اثناء وزارته لبهاء الدولة (11) ، واسمه فيروز وكنيته أبو نصر ، وكان عند توليه مملكة بغداد شابا جريئا ، والخليفة الطائع ضعيفا وهو الذي ولاه السلطنة ولقبه بهاء الدولة ،

---

(10) الذهبي : ج 3 ، 1 .

(11) الذهبي : العبر ، ج 3 ، 22 . — ابن العماد الحنبلي : شذرات ، ج 3 ، 166 . — ابن الجوزي : المنتظم ، ج 7 ، 264 . — ابن خلكان : وفيات ، ج1 ، 99—101 . — م.م عبد الحميد : شرح ديوان الشريف الرضي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، 1949/1368 ، ج 1 ، 11 ، مذكرة عدد 4 .

ورغم ذلك اهانه الامير البويهي ، فيما يسمى بقضية « ابن المعلم (12) » الذي كان من خواص بهاء الدولة ، وكان حبسه الطائع ، فبادر الامير البويهي إلى خلع الخليفة وتعويضه بالقادر وهذا مثال دال على طبعه الجريء المتهور ... ومما رواه عنه صاحب المنتظم (13) انه كان يبخل بالدرهم الواحد ويؤثر المصادرات ، « وهو الذي قلد الشريف الرضي يوم الجمعة 16 من المحرم نقابة الطالبيين في سائر الممالك ، وورد له عهد بذلك من حضرة بهاء الدولة ، وقريء في دار فخر الملك بحضرته بعد ان جمع الاكابر من الاشراف والقضاة والعلماء والجند وخلعت عليه خلعة سوداء وهو اول طالبي خلع عليه السواد (14) » .

وتوفي بهاء الدولة بأرجان في جمادى الاخرة سنة 403/ديسمبر 1012 او جانفي 1013 بمرض الصرع وحمل إلى الكوفة فدفن بالمشهد وقد وزر سابور بن اردشير لابي نصر بهاء الدولة ثلاث مرات ، خلال مدة امارته التي دامت اربعا وعشرين سنة وثلاثة أيام ، أي ما يزيد على نصف عمره اذ نعلم ان بهاء الدولة توفي وعمره 42 سنة و6 أشهر و20 يوما (وفي نسخة : و9 أشهر و20 يوما (15) .

2 ــ تأسيس « دار العلم » :

تجمع جل المصادر عن ان تأسيس « دار العلم » كان في عهد بهاء الدولة ، في سنة 381هـ أو 383هـ . يقول ابن الجوزي في هذا الصدد (16) متحدثا عن سابور وتأسيسه « دار العلم » ببغداد : « وزر لبهاء الدولة أبي نصر بن عضد

(12) الذهبي ، ج 3 ، 22 .
(13) المنتظم ، ج 7 ، 264 .
(14) نفس المرجع ، ص 260 .
(15) نفس المرجع ، ص 264 .
(16) المنتظم ، ج 8 ، 22 .

الدولة ثلاث مرات وكان كاتبا سديدا وابتاع دارا بين السورين في **سنة 381هـ** ، وحمل إليها كتب العلم ، وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد ، ووقف عليها الوقوف ، وبقيت 70 سنة ، واحرقت عند مجيء طغرلبك في سنة 450هـ » . اما الذهبي فيؤكد بأن تاريخ التأسيس هو 383هـ ، قائلا (17) : (وفي 383) انشأ الوزير أبو نصر سابور دارا بالكرخ ، ووقفها على العلماء ، ونقل إليها الكتب وسماها « دار العلم » .

وعلى نفس النسق يسير ابن العماد الحنبلي في « الشذرات » (18) حيث روى : « ابتاع سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة دارا في الكرخ بين السورين وعمرها وسماها « دار العلم » ووقفها ونقل إليها كتبا كثيرة ورد النظر في أمرها إلي أبي الحسين بن السنية وأبي عبد الله الضبي القاضي » . أما ابن خلكان فقد اقتصر على ذكرها دون تحديد تاريخ تأسيسها اذ قال (19) : « وله ببغداد دار العلم ، وإليها أشار أبو العلاء بقوله ، في القصيدة المشهورة (من الطويل) :

« غنت » لنا في دار سابور قينة   من الورق مطراب الاصائل مهباب

وقال ابن الاثير في حوادث سنة 416 : « وفيها توفي سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة ، وكان كاتبا سديدا ، وعمل دار الكتب ببغداد سنة 381هـ وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد ، وبقيت إلى ان احترقت عند مجيء طغرلبك إلى بغداد سنة 450هـ (20) » .

مؤسسة « دار العلم » :

تعتبر هذه المؤسسة العلمية أهم مكتبة أسسها الوزير سابور في عهد بهاء الدولة وقد أقامها – كما رأينا – بالكرخ وهو حي الشيعة ببغداد (21) ،

(17) العبر ، ج 3 ، 22 .
(18) ج 3 ، 104 .
(19) الوفيات ، ج 1 ، 99–101 .
(20) ابن الاثير ، ج 9 ، 131 – ونقل هذا الخبر م.م. عبد الحميد في « شرح ديوان الشريف الرضي » ص 102 (مذكرة عدد 1) .
(21) خلافا لحي « باب البصرة » الذي كان آهلا بالسنيين .

سنة 991/381 أو سنة 993/383 ، وكان ما فيها من مجلدات في مختلف العلوم يعتبر بمثابة النموذج الفريد من نوعه في جمال الخط وهو المعروف بالنسخي ، وكان يدير هذه المؤسسة ثلاثة علماء اثنان من الشرفاء وثالثهم قاض ، لم نجد عنهم في المصادر بيانا يذكر ... ويبدو ان الشريف المرتضى (22) كلف ، بعد وفاة سابور ، بادارتها ، وقد أورد المؤرخون أسماء بعض من كلف بادارتها مثل أبي أحمد عبد السلام النحوي الملقب « بالواجكا » (ت.1014/405) وكان صديقا للمعري خلال إقامته القصيرة ببغداد (سنة 399—400هـ/1009—1010) (23) .

وكانت هذه المكتبة تتلقى — علاوة على ما كان فيها من مؤلفات القدامى — كتب المعاصرين من الادباء ورجال الفكر : مثل الكاتب الفاطمي أحمد بن علي بن خيران (ت. 431هـ/1039م) . ورأينا انها احرقت عند نزول السلاجقة بغداد سنة 450هـ على ان د. **سوردال** ترى ان تاريخ احرقها كان في سنة 1055/447 — حسبما يرويه البعض ، أو سنة 1059/451 ، حسب البعض الاخر . ولم يسلم الا بعض كتب اقتناها الوزير عميد الملك الكندري (24) .

ومما لا شك فيه ان « دار العلم » كانت محطا لاهل الادب والفكر ورجال الثقافة ، يحظون فيها بحسن المعاملة والتشجيع المادي والادبي ، وذلك مما يساعد على دعم سمعة الوزير وبالتالي الامير البويهي نفسه ، ويخدم مراميها : وهي تقوية شوكة الدولة بوجه عام ، والمذهب الشيعي بوجه خاص ، لكن من طرف خفي غير مباشر ، أي عن طريق العلم والمعرفة والتأليف في هذا

(22) عن الشريف المرتضى : انظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات ، ج 3 ، 256—258 .

(23) انظر : « دائرة المعارف الاسلامية » ، الطبعة الثانية : مقال « دار العلم » ، ج2 ، 130 لد . سوردال . — محمد سليم الجندي : « الجامع في أخبار أبي العلاء المعري واثاره » ، دمشق 1962/1382 ، ج 1 ، 211—292 . — يوسف عش : « المكتبات العربية العمومية وشبه العمومية بالعراق وسوريا ومصر في القرون الوسطى » ، دمشق 1967 . السمعاني : كتاب الانساب : ط. حيدراباد الدكن الهند . (الجزء 3) سنة 1963/1383 ، ص 94 .

(24) هو أحد وزراء الدولة السلجوقية في بداية عهدها .

المذهب ... ومما لا شك فيه أيضا أن هذه المؤسسة الشبيهة بما يعرف اليوم « بالاكاديميا » (25) كانت تكتسي صبغة علمية شاملة ، مهمتها ، كذلك ، خدمة العلم والفكر والثقافة بصورة طريفة ، تتمثل في العمل على نشر نور العلم والادب ، وقد ذكر المعري في هذا الشأن ، عند زيارته لها ، **ان الشعر درس من ذلك التاريخ في « دار العلم »**، فلم تكن لها فحسب « صبغة شيعية ضيقة » كما كان الشأن مثلا بالنسبة « لدار الحكمة » التي أسسها الفاطميون بالقاهرة في نفس القرن الرابع هـ. (26) وكانت من المكتبات الهامة التي أقامها **الحاكم** في القاهرة وإليها اجتلب المحدثين والفقهاء والنحويين والاطباء والمنجمين والمتكلمين والرياضيين ، وهي شديدة الاتصال بالدعاية الشيعية ، مهمتها نشر مذهب الاسماعيلية الذي تطلق عليه لفظة « حكمة » منذ عصر المعز لدين الله الفاطمي (27) ، وكان على رأس « دار الحكمة » المسماة أحيانا « بدار العالم » بالقاهرة داعي الدعاة الذي كان يجمع علماءها مرتين في الاسبوع (28) وتاريخ تأسيسها سنة 1001/391 ، ولربما كانت بينها وبين **« دار العلم » البويهية** منافسة تعكس المنافسة القائمة اذ ذاك بين الدولتين على الصعيد السياسي : الدولة البويهية والدولة الفاطمية ، رغم انتمائهما المشترك إلى مذهب الشيعة لكن هذا المذهب متفرع هو أيضا إلى نزعات منها العلوية أو الطالبية ومنها الاسماعيلية والزيدية الخ ... وربما كان هذا التفرع منشأ الخلاف العقائدي بين رجال الدولتين المذكورتين (29) .

وبقطع النظر عن هذه الظواهر من حيث التشابه والتنافس بين المؤسستين ، فقد كان « لدار العلم » ببغداد طابع من الطرافة والاهمية والشمول جعل

(25) د. سوردال : دائرة المعارف الاسلامية (نفس المرجع) .

(26) انظر : « دائرة المعارف الاسلامية » ، الطبعة الثانية ، ج2 ، 130 ، مقال « دار الحكمة » لد. سوردال .

(27) انظر : القاضي النعمان : « كتاب المجالس » ، حسب الدشراوي في مجلة « ارابكا » ، 1960.

(28) د. سوردال : نفس المرجع (دائرة المعارف الاسلامية) .

(29) راجع : كلود كاهين : مقال « بويهيون » (دائرة المعارف الاسلامية) الطبعة الثانية .

هذه المؤسسة تجمع بين ميزة **المكتبة** بما فيها من قاعات مطالعة وبحث ودرس، وميزة **المدرسة** بما يلقى فيها من دروس وبمن يرتادها من معلمين وطلبة . تجرى عليهم الصلات والمنح (30) ، وميزة **المجالس الادبية** الحافلة بالشعراء والكتاب ، يتنافسون ويتبارون بما لديهم من انتاج ... وقد ذكر لنا الثعالبي في اليتيمة عددا لا يستهان به من الشعراء الذين حظوا بعناية سابور بن اردشير وعاشوا في كنفه واحبوا مجالسه وافادوا مما أسسه لهم من مركز ثقافي هام هو « دار العلم » ببغداد (31) ، ومما يذكر ان كل هؤلاء الشعراء مدحوا الوزير بالجود والعطاء السخي وحسن الاخلاق والفضل ، ولنستعرض من ذلك بعض ما يفيد ويكفي من النماذج . فمن هؤلاء ذكر الثعالبي : السلامي ، ومحمد بن أحمد الحمدوني ، وابن لؤلؤ ، وأبا الفرج الببغاء ، والخليع النامي ، والحاتمي ، والخالع ، ومحمد بن بلبل ، واحمد بن علي المنجم ، والسفياني ، وأحمد بن المغلس ، وسعد بن محمد الازدي ، وعون بن علي العنبري وغيرهم ، وهم لا يقلون عن الاربعة عشر شاعرا ، اورد لكل منهم نبذة من شعرهم المدحي في الوزير البويهي ، ومن أبلغ ما قيل في هذا المضمار :

— **لابك بابك** (من الخفيف) (32) :

مستفيض الندى كريم السجايا * عاجل العفو اجل الانتقام

— **للخالع** (33) : (من البسيط) :

مقسم العيش في تحصيل مأثرة * سيارة يتقاضاها لباسان
فللدروع عليه يوم ملحمة * وللدرائع منه يوم ديوان

— **لمحمد بن بلبل** (34) : (من الكامل) :

اضحى الرجاء لبرق جودك شائما * وارتد روض الحمد وصفا ناعما

(30) انظر : يوسف عش : المكتبات العربية ... (ذكر اعلاه .
(31) الثعالبي : اليتيمة : ج 3 ، 129–136 .
(32) نفس المرجع ، ص 130 .
(33) نفس المرجع ، ص 133 .
(34) نفس المرجع ، ص 133 .

وقد مدحه جمع من الشعراء البارزين ، رأينا آنفا ثلة منهم ، مثل أبي الفرج الببغاء ، والشريف الرضي في قصيدة مطلعها : (من البسيط) :

« ما يصنع السير في الجرد السراحيب ان كان وعد الاماني غير مكذوب

وكذلك أبو اسحاق الصابي الذائع الصيت في ذلك العصر .

وعلاوة على الحركة الادبية الصرفة التي كانت تزخر بها « دار العلم » وما يعقد فيها من مجالس شعرية يحضرها سابور نفسه ، تجد فيها الحلقات الدينية ، تتنظم لشرح القرآن ، حيث كان ما لا يقل عن مائة نسخة من الكتاب العزيز بخط بني مقلة (35) ، هذا إلى جانب ما كان يدرس ويدرس فيها من علوم الدين والكلام والفلسفة والرياضيات ... وخدمة المذهب الشيعي عن طريق التأليف والتعليم كما ذكرنا .

مكانة « دار معلم » في تاريخ الحضارة الاسلامية : (بالمقارنة بما يشابهها من مؤسسات علمية قديمة سابقة لها أو معاصرة لها أو تابعة لها) .

ترى د. سوردال في « دائرة المعارف الاسلامية » ان « دار العلم » التي أسسها سابور بن اردشير تختلف إلى حد كبير عما عرفه الشرق العربي الاسلامي من مثل هذه المؤسسات : كانت تختلف من حيث التسمية والرسالة والقيمة (36) .

وتصنف هذا النوع من المؤسسات ثلاثة أصناف :

1 — نوع « **بيت الحكمة** » : وهو من المؤسسات القديمة السابقة لها ، عرفها العرب ببغداد في العصر العباسي الاول ، وقد انشأها المأمون باشارة من

(35) انظر : محمد عبد الا عوض : دور المكاجد الجوام في التعليم خلال الاربعة قرون الاولى للهجرة » (اطروحة مخطوطة بجامعة باريس. .

(36) انظر : مقال لم بيت الحكمة » (ج1، 1175) ، ومقال : لم دار الحكمة » (ج 2، 130) ، ومقال : (« دار العلم » (ج2، 130) .

هارون الرشيد وبتشجيع منه وأسّس «بيت الحكمة» لترجمة المؤلفات اليونانية إلى العربية – كما نعلم – سعيا إلى اخصاب التراث الفكري العربي الاسلامي بالمنطق اليوناني. وكانت تسمى كذلك «خزانة الحكمة» وعلى غرارها اسس الفاطميون فيما بعد، أي سنة 1005/395 في القاهرة، مكتبة مشابهة لها سموها «دار الحكمة».

2 – «**دار الحكمة**»: «ودار الحكمة» هذه التي أقامها الفاطميون كانت تتألف – كما أشرنا انفا – من مكتبة وقاعة مطالعة، وتشتمل على عدد كبير من المؤلفات المتنوعة، ويرتادها المحدثون والفقهاء والنحويون والاطباء والمنجمون والمتكلمون والرياضيون، الا انها – رغم صبغتها العلمية الشاملة الظاهرة، – كانت شديدة الصلة بالدعاية الشيعية كما ذكرنا أيضا، وبنشر التعاليم الشيعية ولا سيما في عصر المعز وبعد عصر المعز ... تماشيا وتقاليد الفاطميين ونزعاتهم ...

3 – »**دار العلم**»: هو النوع الثالث وهو اطرف ما ذكرنا وما رأينا، باعتبار هذه المؤسسة العلمية كانت تضطلع برسالة مزدوجة – اذا ما صح التعبير: علمية تعليمية محضة من ناحية، ودينية شيعية من ناحية أخرى.

وفي الخلاصة، اذا قارنا بين هذه الانواع الثلاثة، نرى أن ميزة «**بيت الحكمة**» الاولى تنحصر في: نشر الفلسفة اليونانية واخصاب التراث العربي الاسلامي بأساليب المنطق واثراء علم الكلام وتشجيع الاجتهاد واعمال العقل في العلوم الدينية ...

أما ميزة «**دار الحكمة**»، ومثلها ما ظهر على يد الفاطميين بالقاهرة، فهي ماثلة في السعي إلى تركيز مذهب الاسماعيلية عن طريق التدريس والتأليف والبحث والدرس.

أما مؤسسة «**دار العلم**» فرسالتها مزدوجة كما اسلفنا، وفي ذلك يكمن طابع طرافتها، وهي الميزة التي اصطبغت بها مؤسسة سابور ببغداد.

4 — على أن هناك نوعا رابعا ظهر على يد « نظام الملك — فيما بعد — وهو المتمثل في المدرسة النظامية التي كانت رسالتها دعم المذهب السني وابطال مزاعم « أهل البدع » من متكلمين وباطنية وفلاسفة ، مثلما كان ذلك على يد أبـي حامد الغزالي في بغداد (37) .

الخاتمـــة :

لقد ساعدت « **دار العلم** » — كما اجمع على ذلك المؤرخون — على اشعاع الثقافة العربية الاسلامية ونشر العلوم والاداب وتشجيع حركة الشعر ، وذلك في عصر كثرت فيه الفتن والاضطرابات السياسية (38) وفي فترة أخذ فيها الضعف والوهن يدبان في صفوف دولة عمرت أكثر من قرن : هي الدولة البويهية التي عرف أمراؤها بالشدة والعسف في معاملتهم للخلفاء العباسيين اجمالا ، لكن عرفت أيضا — والحق يقال — بنخبة من الرجالات العظام ، على قلتهم ، ويتبوأ مكان الصدارة فيهم الوزير « سابور بن اردشير » ، بفضل ما لعبه من دور فعال في تشجيع حركة الدرس والبحث ، ورواج سوق الادب والشعر خصوصا ، وازدهار العلوم على اختلافها ، وبما شهر به من سمو الاخلاق والتنزه عن الرذائل والظلم ، وسعي إلى فعل الخير ، وهل أجل مما خلد به اسمه من بناء « **دار العلم** » وتزويد مكتبها بكل ما عرف في عصره وقبل عصره من مجلدات و اثار ، واجتلاب العلمـاء والادبـاء ووقف الاوقاف عليها وعليهم ، مما مكن من تواصل حركة التنقيب والبحث والتأليف — كما هو الشأن في عصرنا هذا وفي جل البلدان المتقدمة المتحضرة ، وما من ريب في ان من عوامل الخلود والتخليد لذكر بني الانسان ، انجاز المشاريع العلمية والعمل على نشر المعرفة ، والاشعاع بنور العلم والادب واخصاب التراث الفكري والحضاري الانساني ...

(37) عن المدرسة النظامية ببغداد : انظر : هـ. بوقمرة : تدريس اللغة والأدب العربيين في المدرسة النظامية ببغداد (أطروحة مرقونة باللغة الفرنسية) ، باريس 1973 .

(38) انظر : الكامل لابن الاثير : ط. القاهرة ، ج 8 ، 5، 53، 59 .

ويعتبر ما قام به سابور بن اردشير في هذا المضمار من المـاثر التي لا يجحد فضلها ولا ينكر اثرها وتأثيرها حاجد أو منكر (39) وهي من المـاثر التي خلدت اسم صاحبها بفضل ما لعبته من دور واضطلعت به من رسالة في تركيز دعائم الثقافة العربية والحضارة الاسلامية ، وفي اخصاب التراث الفكري البشري في عصر غنمت منه المعرفة في أوسع معانيها ، رغم ما ساده من تقلبات سياسية ، " **واستقرت فيه قوة الفكر البشري** " رغم اضطراب الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية ، وهي الميزة التي تميزت بها اغلب الدويلات التي استقلت عن الخلافة المركزية ببغداد ، ونشأت طيلة القرن الرابع هـ./العاشر م. وانتشرت هنا وهناك طيلـة القرن الخامس هـ/الحادي عشر م. في ربوع الشرق العربـي الاسلامـي ، من العراق إلى فارس والهند وطبرستان .... إلى مصر وبـلاد الشام ... وغيرها من فسيح الاصقاع والاقاليم (40) .

الحبيب الشـــاوش

(39) انظر : محمود غناوي الزهيري : « الادب في ظل بني بويه » ، القاهرة ، 1949/1368 ، ص ص 132–136 .

(40) نفس المرجع جملة . – ك. كاهين : مقال : « بويهيون » : دائرة المعارف الاسلامية : (الطبعة الثانية) . – يوسف عش : المكتبات العربية العمومية وشبه العمومية ... » .

المصادر والمراجع

(مرتبة حسب الحروف الهجائية لاسماء المؤلفين)

(أ)

1) **ابن الاثير : الكامل في التاريخ** . ط. القاهرة ، VIII ، 5 ، 53 ، 59 .

2) **ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات** ، القاهرة (بلا تاريخ) .

3) **ابن الجوزي : المنتظم** ، ط. حيدراباد الدكن :

— الجزء السادس ، ط. سنة 1957

— الجزء السابع ، ط. سنة 1958

— الجزء الثامن ، ط. سنة 1959

4) **ابن خلكان : « وفيات الاعيان »** ، القاهرة ، 1947/1367 .

5) **ابن العماد الحنبلي : « شذرات الذهب في اخبار من ذهب »** ، القاهرة ، 1350 .

(ب)

6) **بوقمرة (هشام)** : تدريس اللغة والادب العربيين في المدرسة النظامية ببغداد أطروحة مرقونة باللغة الفرنسية) — باريس 1973

L'enseignement de la langue et de la littérature arabes à la Nizamiyya de Bagdad — Paris 1973

(ث)

7) **الثعالبي : « يتيمة الدهر »** ، ط. م. م عبد الحميد ، القاهرة (بلا تاريخ) — 4 أجزاء .

(ج)

8) **الجندي (محمد سليم) : « الجامع في اخبار أبي العلاء واثاره »** ، دمشق 1962/1382 I ، 211 — 292 .

(د)

9) **دائرة المعارف الاسلامية** : الطبعة الاولى ، والطبعة الثانية .

(ذ)

10) **الذهبي (الحافظ) : « كتاب العبر في اخبار من غبر »** ، ط. فؤاد السيد ، الكويت ، 1961 ، II . III .

(ز)

11) **زترشتاين (ك.ف) :** مقال : « **بويهيون** » ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الاولى ، I ، 827 — 828 .

12) **السمعاني : كتاب الانساب** — ط. حيدراباد الدكن ، الهند ، 1383/ 1963 ، III ، 94 .

13) **سوردال (د) :** مقال : « **بيت الحكمة** » ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، I ، 1175 .

14) **سوردال (د) :** مقال : « **دار الحكمة** » ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، II ، 130 .

15) **سوردال (د) :** مقال : « **دار العلم** » ، نفس المرجع ، II ، 130 .

16) **السيوطي : « بغية الوعاة »** ، القاهرة ، 1326 .

(ش)

17) **الشابي (الدكتور علي) : « الأدب الفارسي في العصر الغزنوي »** ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1965 ، (التمهيد ، 15 — 17) .

(ع)

18) **عبد الحميد (محمد محي الدين) : « شرح ديوان الشريف الرضي »** ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، 1949/1368 .

19) **العش (يوشف) : « المكتبات العربية العمومية وشبه العمومية بالعراق وسوريا ومصر في القرون الوسطى »** ، دمشق ، 1967 .

20) **عوض (محمد عبد الله) : « دور الجوامع في التعليم خلال الاربعة قرون الاولى ه »** (أطروحة باللغة الفرنسية ، مرقونة ، بجامعة باريس) .

(غ)

21) **غناوي الزهيري (محمود)** : «**الادب في ظل بني بويه**» ، القاهرة ، 1949/1368 .

(ق)

22) **القاضي النعمان** : «**كتاب المجالس**» ، حسب الدشراوي ، مجلة «**ارابكا**» ، 1960 .

(ك)

23) **كاهين (كلود)** : مقال : «**بويهيون**» ، **دائرة المعارف الاسلامية**» ، الطبعة الجديدة ، I ، 1390 — 1397 .

24) **كنار (ماريوس)** : «**بغداد في القرن الرابع ه/العاشر م**» . مجلة «ارابكا» ، عدد خاص ببغداد بمناسبة مرور 1.200 سنة على تأسيسها (اكتوبر 1962) . ص ص. 267 — 287 .

25) **ياقوت** : «**معجم الادباء**» ، ط. القاهرة (مطبوعات «دار المأمون» لاحمد الرفاعي) .

الحبيب الشاوش